في الدلالة ، منها « سام » بمعنى شارك وقاسم ، و « قهوة » للمكان الذي تشرب فيه . . الخ . وذلك بناء على ما ارتآه الأستاذ أحمد حسن الزيات بك من حق المحدثين في الوضع اللغوي . فإذا كنت مصرا على المطالبة بنص ما قالته العرب فإني ألفتك إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية وهو — كما قلت — الذي فوضنا إليه أمر اللغة العربية

عباس خضر

المسرح المصري

في خدمة العقيدة الوطنية

للأستاذ زكي طليمات

في العدد الفائت من الرسالة ، عقب الأستاذ علي متولي صلاح ، على فصل لي نشرته هذه المجلة تحت هذا العنوان ، وهو بحث أقمت فيه موازنة عابرة بين مذهبين دوارين من مذاهب الأدب والفن « هما مذهبا الأدب والفن ، للأدب والفن » أو — الفن والأدب ، في برجيهما العاجي ، ثم الأدب والفن وقد عالجا ما يستبد بتفكير الناس في فترة عصيبة من فترات الزمن

أتيت هذا لأخلص إلى تسجيل وجهة نظري في هذه القضية التي ما زال رحابها يتسع للمتناقض من الأحكام والمتعارض من وجهات النظر ، ابتغاء أن أمهد لأخراجي مسرحية (دنشواي الحمراء) التي قدمتها (فرقة المسرح المصري الحديث) وهي مسرحية من صميم (الأدب الملتزم) الذي يستأثر بنفوس الجمهور في هذه الآونة

وقد حرصت ألا أتعرض لمناقشة ما يسوقه كل فريق في المناحة عن كل من هذين المذهبين ، إرادة أن أنفذ إلى ما أردت من ذلك الفصل ، وبنية أن أقول ، ولكن بطريق غير مباشر ، أن ليس هناك أدب للأدب ، وأدب لغير الأدب ، وإنما هناك أدب رفيع وفن رفيع ، وأدب رخيص وفن تافه ، وذلك باعتبار أن الأدب أو الفن إنما هو هزة وانفعال . ومأتى التجويد فيهما والابتداع إنما يرجع إلى امتلاء الأديب أو الفنان بما هزه في اعلابه وامتلأت به أوصاله ، ثم إلى قدرته على معالجة هذا معالجة إنسانية سليمة وطريفة في وسائل أدائها

وقد جاء تعقيب الأستاذ صلاح على ما ذكرت ذا شعبتين ، ويكاد ينقسم إلى قسمين : القسم الأول يدور حول هذه القضية . والقسم الآخر يعالج موضوعا جديدا إذ يدور حول موقف المسرح المصري من هذين المذهبين

وحرصا على أن يفيد القارئ ، ودفعا للبس وتقويما للانحراف أعقب بدوري على ما كتبه الأستاذ صلاح ، ولكن في إيجاز

(١) الموازنة التي أقمتها حول الأدب والفن في مذهبيهما المتعارضين ما زالت قائمة . وليست من فضول القول كما يزعم الأستاذ صلاح ، لأنها تعالج أسلوبين من أساليب التعبير في جوهره ، وذلك من حيث الباعث والحافز . ولم تكتب فيه الغلبة لأحدهما حتى الآن ، بدليل أنه ما برح هناك كتاب يعالجون الآداب (من أبراجهم العالية) ويأتون بالجديد والطريف مما يقرأه الناس ويتأثرون به . وموقف النقاد من هذه القضية كموقفهم من (الشعر) بعد أن استشرت النزعة المادية في مرافق الحياة الاجتماعية ، وطغت هذه النزعة على المعنويات والروحانيات فمنهم من يزعم أن (الشعر) أصبح لونا من الترف والفضول ، ومنهم من يرى غير هذا ، ويؤكد أن الشعر لن يموت بحكم أنه تعبير إنساني يزاوج بين موسيقى المعاني وموسيقى الألفاظ ، والكائن الإنساني يستهويه الإيقاع بفطرته وسليقته

وتباين وجهات النظر إلى الشعر ، كما هو الحال في تباين وجهات النظر إلى الأدب والفن في قضيتهما هذه ، كل هذا كما يلوح لي ، مرجعه إلى التقدم الآلي والصناعي ، وإلى إملاء الماديات على المعنويات ، ثم إلى عامل السرعة ، وكل هذا من

خصائص القرن الحاضر ، ومن عوامل الزمن الذى نعيش فيه . ولكن هذه العوامل لم تستطيع بعد أن تحول الأدب والفن إلى نظريات اقتصادية ومقاييسات ميكانيكية أو صور بدائية مبتسرة

ولو أردنا أن نسوق مايقرره أنصار مذهب (الأدب للأدب) تحبيذا لمذهبهم وانتقاصا للمذهب الذى يكافح عنه الأستاذ صلاح لراجع نفسه كثيرا قبل أن يحاول دفع حججهم بالتى هى أحسن وألخم ، ونخلص معى إلى أن الأدب أو الفن فى نتاجه ، لايمكن أن نقسمه إلا من حيث الجودة والرداءة ، ومن حيث السمو والإسفاف ، ومن حيث الزوال والخلود

٢ — (مذهب الوجودية) Existantualisme الذى أقحمه الأستاذ صلاح فى دفاعه عن (الأدب الملتزم) ليس مما يصح اتخاذه برهانا على أن نظرية الأدب للأدب قد ماتت وعفت آثارها بانقضاء القرن الماضى ، لأن هـــذه (الوجودية إنما هى أسلوب فى التفكير ، وليست حافزا أو باعثا من البواعث على الابتداع الأدبى أو الفنى ، ولا مصدرا من مصادر الاستلهام التى تدافع الأديب أو الفنان إلى الخلق . ومعلوم أن الباعث يأتى قبل التفكير ؛ وإن شئت فقل إنه الشرارة التى يضطرم معها الذهن ويفضى ليعمل ، ونحن فى قضيتنا هذه قضية الأدب للأدب والالتزام ، إنما نعالج الباعث والحافز ومصدر الالهام ولا نعالج أساليب الفكر

وفوق هذا فإن هذه (الوجودية) تمتد أطرافها إلى نظريات فلسفية قائمة ، ولفتات اجتماعية لا تخلو من الشذوذ ، لأنها قامت على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية الأوربية بتأثير الحرب الكبرى الماضية وما زالت تفتقر إلى الأرض الصلبة التى تقف عليها . وقد تزول هذه (الوجودية) إذا زالت أسباب قيامها ، باعتبار أن الحياة ليست كلها شقاء وجحيما وألما ، وأن الوجود يتجدد ويقيم شرعة التوازن بين طرفيه : السعادة والشقاء ، والفرح والحزن . وقد تزول هـذه (الوجودية) كما زالت قبلها (المادية) و (السريالية) وكلها من أساليب حياة الفكر ..

قد يزول كل هذا ، ويبقى النضال قائما بين مذهبى (الأدب للأدب) و (الأدب الملتزم) لأنه نضـــال يعالج الأدب فى جوهره من حيث بواعثه واستلهاماته ، وليس يعالج الأدب من ناحية التيارات الفلسفية التى تنجم نجوم الأزياء وتسوده حقبة من الزمن ثم تمضى

ويتضح مما أجملت ذكره من الوجودية ، أن الأستاذ صلاح قد التبس عليه الأمر إذ جعل (الوجودية) من دعائم (الأدب الملتزم) إذ لو صح هـذا لقضى على الأدب إلا يكتب ألا فى الناحية القاتمة من الحياة ، ولا يسجل إلا التشاؤم وفقدان الأمل ، وألا يوحى إلا بما يشعر الكائن الإنسانى بزيادة تبعاته أمام نفسه ، ويتعدد التزاماته أمام المجتمع

وقد يكون هذا عند (بول سارتر) صاحب هذا المذهب ومن نهج نهجه بعد أن أثر فى أذهانهم ، بتأثير الظروف التى تحيط بهم ، وبسحر النظار الذى يركب عيونهم ، أن الحياة إنما هى سلسلة من التبعات الثقال ، وأن الكائن الإنسانى ، وهو العنصر الأولى فى الوجود ، لابد أن يتناضل عن كيانه وأن ينازل هذه التبعات فى حرب سافرة . ولا بأس أن يفكر المستقبل ، ولا بأس أن يأخذ بمذهب (القدرية) إلى أبعد حدوده ، باعتبار أن الإنسان مسئول عما يفعله وليس (للجبر) دخل فى سلوكه

هـذه وجهة نظره ، ولكنها ليست وجهة نظر (الأدب الملتزم) فى كل ما يعالجه من شؤون الحياة

* * *

أما القسم الآخر من تعقيب الأستاذ صلاح فينصب ظاهره على المسرح المصرى خاصة ، ويهدف باطنه إلى النيل من (فرقة المسرح المصرى الحديث) وكأن هذه الفرقة الحديثة العهد بالحياة مسئولة عن المسرح المصرى فى حياته السابقة وفى انحراف رسالة الفرق المختلفة العاملة عما يجب أن تكون عليه فى معالجة ما يشغل أذهان الناس ! !

وهذا القسم كسابقه يتسم بالجور والإقساط كما يموزه التقصى والاستقراء ، لأن المسرح المصرى — كما هو معلوم لكل متتبع مراحل تطوره إلا الأستاذ صلاح بالطبع — كان فى أكثر مسرحياته الحالية يتناول مشاكل حياة الاجتماع فى مصر ، وفى القليل من مسرحياته لتنبيه الوعى القومى ، وذلك فى نطاق ما بين يديه من وسائل ، وفى حدود الحرية التى يجيزها الرقيب

الحبكوى ، وما ديجتـه الأفلام المصرية فى هذا ، بين ما هو مقتبس ومؤلف بل ومترجم ، يقيم الحجة على ما نقرره

وإذا صح ما يزعمه الأستاذ صـلاح من أن المسرح المصرى قد قصر عن إدراك هذا الشأو ، فاللوم لا يقع على أصحاب الفرق والممثلين ، وإنمـا ينصب بكليته على من يكتبون للمسرح رواية وتوجيها ونقدا . وأسأل نفسى أين كان الأستاذ المعقب (والتعقيب كالنقد سهل وميسور ، والانشاء صعب وعسير) أين كان ... وهذه أول مرة نطالع له كلاما عن المسرح ؟!

ثم يأتى نصيب (فرقة المسرح المصرى الحـديث) من لوم الأستـاذ المعقب ومن تقريعه ، فإذا هو يؤكد ما قررته من أن الأستاذ ركب من التجنى ومن الإقـساط ما ركب ..

وآية هذا أنه ما أن هبت مصر هبتها القـائمة حتى قطعت الفرقة الحديثة ما بينها وبين ما كانت تقدمه فى عامها الأول من المسرحيات العالمية المترجمة ، وقدمت مسرحيتى (مسمار جحا) و (دنشواى الحمراء) وهما من وضع أقلام مصرية حاذقة أحست النبض الذى يدق فى قلب كل مصرى فجـاءت كل مسرحية منهما تعكس فى مشاهـدها صورا ورؤى مما يعمر رؤوسنا فى هذه الفترة العصيبة من حياة مصر

قدمت الفرقة الحديثة هاتين المسرحيتين وقد استجابت إلى ما يصح أن يطالعه الجمهور فوق المسرح ، ولـما يمض على حياتها أكثر من عام وربع عام . هذا فى حين أن فرقة مصرية أخرى تحظى برعاية وزارة الشئون الاجتماعية ورعايتها ، لم تقدم شيئا من هذا ، بل قدمت قديما من مترجمات ومقتبسات مما خفت مؤنته الفنية والأدبية من الأدب الفرنسى والإنجليزى ، ومما لا يتجاوب مع ما يستبد بنفوس الجمهور فى كثير أو قليل ، وذلك بين مسرحي الأوبرا الملكية وحديقة الأزبكية !

ومع هذا وأمره معلوم ، ولكن الأستاذ المعقب الحاسب لم يتعرض له فى شئ . وأترك للقارئ أن يرد على الأستاذ المعقب بما يراه . وأعود إلى مسرحيتى (مسمار جحا) و (دنشواى الحمراء) فأقول إن هاتين المسرحيتين لم تروقا للأستاذ المعقب ، لا وضعا ولا معنى ، ويزعم أنهما لا تحققان الأغراض القومية التى نوهنا بذكرها فى مختلف المناسبات ، ثم يحلو له بعد هذا أن يتهكم . ولماذا ؟ وفيم التهكم ؟

يزف الأستاذ المعقب كلاما إن دل على شئ فعلى أنه لم يحسن تفقه هاتين المسرحيتين . وهذا مما يؤسف له ! أو هو علم وتفقه ولكنه يعتسف النقد اعتسافا ليطالع برأى يخالف آراء من شاهدوا هاتين المسرحيتين الطريفتين ، وتفضلوا بالكتابة عنهما فى مختلف الصحف ، وهذه محنة ! أو هو هـذا وذاك . ويزيد أن اطلاعه فى الأدب المسرحى الغربى ليس على الوجه الكامل ، بدليل أنه ينتقص قدر مؤلف مسرحية (دنشواى الحمراء) لأنها لم تجمع بين دفتيها فوق ما جمعت من مواطن النضال والفداء ، مواقف العمال والجنود والحكومة ومن إليهم .. وكأن المسرحية فى نظره ملحمة من الملاحم ، يجب أن تحيط بكل كبيرة وصغيرة وشاردة وواردة ، مما يصح أن يجرى فى محيطها

وفى هـذا نمسك عن الكلام ولا نتهكم ولا نسخر ، وأدع تفنيد مزاعمه تفنيدا مسهبا لمؤلفى هاتين المسرحيتين ..

وأكتفى بأن أقول للأستاذ صلاح ما قاله نمير فى مثل ما نحن فيه (شيئا من الرفق ليحتمل النقد ، وكثيرا من العدل ليستقيم الميزان)

زكى طليمات

يصدر

عدد الرسالة

السنوى الممتاز

فى يوم ٧ يناير

سنة ١٩٥٢